بسم الله الرحمن الرحيم

سيميائية الحركة الإعرابية وأثرها في الانسجام الدلالي مع الموقع الإعرابي

أ.د.عبدالله محمد زين بن شهاب

أستاذ اللغة والنحو واللسانيات . قسم اللغة العربية

نائب رئيس جامعة سيئون للشؤون الأكاديمية

كلية الآداب واللغات . جامعة سيئون(الحكومية)

مهاد:

الدراسات الألسنية الحديثة تعددت رؤاها،وتنوعت جوانبها،وتشعبت اتجاهاتها،وتماشى ذلك مع المنجزات اللسانية الهائلة التي شملت مجالات علمية و معرفية واسعة من خلال تلاقح الثقافات الإنسانية العالمية التي لم تعد محصورة في زاوية فكرية محددة.

ومن أبرز النتاجات اللغوية التي تمخَّضت عن هذا الحراك العلمي منقطع النظير ما ظهر جليا في المجال السيميائي(العلاماتي)،الذي لم يعد حكرا على اللغة وحدها،بل شمل الفكر الإنساني المعاصر ؛ومرد ذلك إلى طبيعة العلامة وكنهها،بوصفها ناقلةً لمجريات الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية التي واكبت المجتمع الإنساني في كل مراحله،فحياة الإنسان لا يكون لها شأن إلا بالعلامات ومدلولاتها.

إن للغة كيانها المنتظم المجسَّد في النظام الصوتي،والصرفي،والنحوي(التركيبي)،والدلالي،إلا أن المجال الدلالي حظي أكثر من غيره باهتمام الباحثين اللغويين،وماترتب بعد ذلك من مجالات أدبية على اختلاف مذاهبها ومشاربها النقدية،فغاص النقاد والمحللون في الأعمال الأدبية وأخضعوها للمنهج السيميائي،وبقي النظام النحوي ـ سيميائيا . غير منظور إليه إلا في دراسات محددة.

لذا جاءت هذه الورقة البحثية مسلِّطةً الضوءَ على جانب مهم من جوانب النظام السيميائي (النحوي)، ألا وهو سيميائية الحركة النحوية(الإعرابية).

ومع ذلك قد يبدو هناك سؤالٌ ملحٌّ يعدُّ محور هذه الورقة هو:ماعلاقة النظام النحوي(التركيبي)،وبخاصة الحركة الإعرابية بموضوع السيمياء.؟.هذا التساؤل تتمحور إجابته في مجريات هذه الورقة،من خلال كيفية تجسيد الحركة

الإعرابية سيمائيا ؛بوصفها التي تحدد المعنى النحوي للتركيب اللغوي ،وارتباط هذا المعنى بغيره من المعاني الأخرى داخل التركيب النحوي ذاته.

كل ذلك وغيره هو محور التناول في هذه الورقة من خلال تطبيقنا للمنهج السيميائي(العلاماتي)،الذي سيُوصِلُنا في نهاية المطاف إلى أن المعرفة النحوية العربية بثرائها التراثي التليد ليست مقصورة على حفظ اللسان من الزلل والخطأ،وإنما من أهم مهامها الرئيسة التواصل بشقيه:الشفاهي(بالحوار أو المحادثة) أو الكتابي(بالنصوص المكتوبة).وكلا الأمرين يتطلبان تفعيلا للوعي السيميائي(1) .

السيمياء النحوية(مدخل نظري)(2):

إن هذه الورقة لن تخوض كثيرا في المفهوم الاصطلاحي للسيمياء ،أو معرفة جذورها التاريخية(التراثية) أوعلاقتها بالدرس اللساني،أو الدرس الدلالي ،فقد كفانا غيرُنا مؤونةَ البحث والتقصي في هذا الاتجاه(2)،فمُبتغى هذا البحث إظهار الحركة الإعرابية(التركيبية)بحلة منهجية(سيميائية) تكسو موضوعاته ومصطلحاته وتقسيماته،من خلال الربط الواعي بين الأصالة التراثية(النحوية) وما قدمه علم السيمياء من أطروحات فكرية(لسانية) تصب في هذا الاتجاه.

إن هذه الورقة لن تتناول كل الموضوعات النحوية بكل تقتسيماتها الكلية والجزئية،وإنما ستقتصر على دراسة الحركة الإعرابية، أو بعبارة أخرى دراسة (سيميائية الحركة الإعرابية).

ولكن قبل أن نلج في موضوعات البحث الرئيسة يلزمنا أن نلقي نظرة موجزة على السيمياء النحوية تعريفا وماهية .

إننا لسنا مغالين إذا قلنا إن لكل علم من العلوم سيمياء خاصة به،تميزه عن العلوم الأخرى،وذلك إذا أدركنا أن السيمياء نظام دقيق من العلامات أو الرموز التي يستخدمها ذلك العلم،وما بين هذه الرموز أو العلامات من علاقات متشابكة تشكل في نهايتها نظاما فكريا وتفاعلا إنسانيا،تُعرف به مجريات العلم وغاياته ومقاصده،سواء أكانت علوما تطبيقية أم علوما إنسانية،"ولكن تبقى سيمياء العلوم الإنسانية أخصبها في المناقشة والتحليل؛لما تتأثر فيها العلامات بالأنماط والأنساق السياقية "(3)،لأجل ذلك ألفينا سيمياء اللغة وسيمياء الأدب اكتسبتا صفة الشيوع السيميائي لارتباطهما بالأنماط والأنساق السياقية،فسيمياء اللغة " تنطلق من مبدأ أن الكلمات في اللغة علامات لسانية صوتية،تدل على معان معينة."(4)،وأن سيمياء الأدب " تنطلق من مبدأ أن الكلمات والتراكيب ..تكون علامات لما وراء معانيها اللغوية،فهي علامات على معنى المعنى."(5)

أما إذا جئنا للنحو ونظرنا إلى مهمته عرفنا أنه يُعنى بالقواعد التي ينبغي للمتحدث أن يطبقها؛حتى يبتعد عن الخطأ،ولا يقع فيه،وإذا أدركنا مفهوم الخطأ النحوي عرفنا بعد ذلك أن هذا الخطأ هو في حد ذاته " حدث طارئ

على العلامة، من حيث هي علامة؛أي :في جانبها التمثيلي العرفي،كأن يتغير حرف منها،أو حركة إعرابية مما يغير المعنى ويخفيه،ويفقد الكلمة قيمتها في أن تكون علامة."(6)

إن النحو العربي يسعى سعيا حثيثا للحصول على تركيب لغوي بعيد عن الأخطاء،من خلال الاعتماد على قوانين تركيبية صارمة،وهذا يعني أن النحو العربي حريص على إقامة نسق لغوي،ذي دلالات محددة،لعل من أولاها كونه دالا على إنتاج دلالة أخرى،من أبرز عناصرها (علامات) تحدد الصبغة التركيبية الجديدة ، "ليس لأن الدلالة مفقودة في الكلام العربي،مثل: (ضرب زيد عمرا)،ولكن من أجل إعادة إنتاج دلالة أخرى،تتشكل من خلال علامات،هي تلك المفاهيم والمصطلحات المعروفة،وسوف يكون لزاما على منتِج هذه الدلالة أن يبين لنا كيف نصل إلى إنتاجها بواسطة النظر في علاقة الوحدات في مابينها،ثم إيجاد القرائن والعلل،وإدراك المقاصد،وكيفية إنتاج المعنى،وبه تكون المعرفة النحوية (موضوعا سيميائيا) . "(7)

إن النحو في مضمونه العام يعد معرفة أو منتوجا فكريا بوساطة العلامات،فالنحو ليس من مهماته فقط عصمة اللسان من الوقوع في اللحن،بل من مهاماته الأخرى مبدأ التواصل والاتصال سواء أكان شفهيا عن طريق المحاورة،أم كان كتابيا بوساطة النص المكتوب،وفي كلا الحالين يعد المنتوج اللغوي (النحوي) كمًّا هائلا من العلامات، كل علامة لها وظيفة سياقية و تركيبية ودلالية ،تؤدي هذه الوظائف في مجموعها معرفة معينة،وتشكل فكرا إنسانيا مميزا، كل ذلك يحصل إذا ما أدركنا أن النحو مجموعة من العلامات المتشابكة المتواصلة والمتعالقة، التي يؤدي كل منها إلى الآخر.(8).

إن العلامة السيميائية في النتاج اللغوي بمختلف صنوفه، لا يمكن أن تنفصم عن العلامة في النحو،فالنتاج الأدبي والبلاغي مأخوذ من دلالة التراكيب اللغوية المستعملة في العمل الأدبي،أو مأخوذ من وصف الأحداث والشخصيات وما يدور بينها،والسيمياء في البلاغة لها علاقة وثيقة بطبيعة الترابط الدلالي بين الألفاظ،وما ينتج بعد ذلك من صور بلاغية في مجال التشبيهات أو الاستعارات أو المجازات بمختلف أشكالها وصنوفها،وكل ذلك يقوم على صحة التركيب النحوي،ويتوقف على طبيعة المعنى النحوي الذي يولِّده هذا السياق اللغوي.

ومع هذا الارتباط الوثيق نلفي أن العلامة (السيميائية) في النحو لها ماهيتها الخاصة ،ولها حالاتها المتفردة،ذلك لأن سيمياء النحو تتناول دراسة العلامات المستعملة في بناء النظام النحوي ومابينها من علاقات،ولا أعني بالعلامات هنا الحركات الإعرابية ،أو علامات الاسم او الفعل أو الحرف التي أودعها النحويون كتبهم،بل أعني أيضا بالعلامة النحوية المصطلح النحوي بكل ما يعنيه من دلالة نحوية مستنبطة من الدلالة المجازية أو المعجمية وما يدل عليه بعد ذلك من إشارة إلى باب نحوي معين،وبمعنى آخر كيفية تتبع النحويين للمصطلح النحوي حتى بات عندهم يدل على

علامة نحوية معينة هذه العلامة النحوية أصبحت تشير إلى كيان نحوي مستقل في المنظومة النحوية،وسيكون هذا الموضوع محل بحث في قابل الأيام بإذن الله تعالى.

سيميائية العلامة النحوية:

العلامة تعني" كل إشارة مُدرَكة بإحدى حواس الإنسان،أو مُدْرَكة باستنتاجه العقلي،لها مدلول معين في ذهنه."(9)

وقد ذكرت في ما تقدم أن البحث سيعالج سيميائيا موضوع (الحركة الإعرابية)،وهذه المعالجة تتطلب في حد ذاتها العودة إلى طبيعة العلامة اللغوية ومفهومها،فهي لاتعني الرمز الإشاري،ولا تعني الرمز الانفعالي(10)،بل تعني الرمز اللغوي(العلامة اللغوية)،التي تتكون أساسا من دال ومدلول،إضافة إلى ما تتضمنه العلامة النحوية من ميزة وخصوصية.من هنا يجب علينا أن ندرك أن علم النحو من أوثق علوم اللغة صلة بالسيمياء؛ " لأنه يدرس علامات الكلمة . وهي نفسها سيمى على مفهوم ومعنى معين . ضمن التركيب المفيد الذي يضفي عليها معنى نحويا يستوجب علامات إضافية زائدة."(11)

وقد ذكرت سلفا أن العلامة في النحو لها تميز خاص،فهي لا تعني فقط الحركات الإعرابية،وإن كانت هي جزء داخل في دراسة النظام النحوي سيميائيا،لكن حقيقة العلامة النحوية في النظام العام للنحو العربي أنها تعني النظر إلى العلامة النحوية على وفق وظيفتها التركيبية والدلالية ،وانسجام ذلك مع طبيعة الدلالة النحوية داخل السياق التركيبي.

وعلى هذا الأساس السيميائي فإننا لا نستطيع أن نستغني أو نلغي أي علامة نحوية لها أثرها المباشر في بناء السياق النحوي،بما في ذلك العامل النحوي بوصفه " عنصرا بنائيا في الجملة،لا شيئا خارجا عنها"(12) .

ويؤدي بنا عدم الإلغاء لأي علامة نحوية إلى قضية مهمة تتمحور في أن العلامة النحوية تنقسم في الأصل إلى علامة رئيسة (جوهرية)،تنبع أساسا من الدلالة النحوية أو المعنى النحوي الذي تؤديه داخل السياق،ويشمل ذلك كل أقسام الكلام،وكل المصطلحات النحوية(التركيبية)،وهناك علامة هي في أصلها شكلية ،تخص الشكل الخارجي " بغض النظر عن الدلالة أو الصورة الذهنية المتشكلة عند سماع النمط اللغوي. "(13).

واستنادا لذلك فإن المنهج السيميائي لدراسة المادة النحوية يؤدي بنا إلى " تحديد دقيق لمعاني النحو ومصطلحاته،من خلال تفصيل العلامات التي تميز بعضها بعض،ولما تؤديه العلامات .. من وظائف نحوية،إلى جانب كونها علاقات ذات دلالات."(14)

سيميائية الحركة الإعرابية:ماهيةً ودلالةً:

لســـنا هنا بصـــدد التوغل في مفهوم الإعراب وبيان أهميته في الدرس النحوي،ولســـنا بصـــدد متابعة مؤيديه ومعارضـــيه،فقد تُكُلِّم عن ذلك كثيرا،وإنما همُّنا هنا تســـليط الضـــوء على طبيعة الحركة الإعرابية،بوصـــفها علامة ســـيميائية مهمة تتســـلط على أواخر الكلمات لتبيان المعنى النحوي المراد ،وبوصـــفها علامة مميزة للأفعال والأسماء،وبها يتميز الفعل عن الاسم،ويُعْرفُ المبنيُّ من المعرب،وبها يتشكل المعنى،وتتغير وجهة التركيب؛لأنها تعد " أهم قرينة نحوية يُستدلُّ بها على المعاني النحوية."(15)

قال ابن منظور: " الحركة ضـد السـكون."(16)،وهي بهذا تعد أثرا للتحرك(17)،فتتحرك العوامل ويكون بإثرها الحركة،فلا حركة من غير تحرك عاملي داخل الجملة النحوية،من هنا كانت الحركة الإعرابية مظهرا تحققه العوامل اللفظية والمعنوية،فيأتي أثرها العاملي من خلال الحركات الإعرابية:الضـــمة أو الفتحة أو الكســـرة،وكلٌّ منها يمثِّل حالةً إعرابيةً محددة،فالضمة تمثل الرفع،والفتحة تمثل النصب،والكسرة تمثل الجر،وقد تأتي أصلية ,وقد تنوب عنها حروف معينة،كنيابة الواو في الأسماء الخمسـة،والألف في المثنى عن الضـمة،ونيابة الألف في الأسماء الخمسـة،والياء في جمع المذكر الســـالم والمثنى عن الفتحة،ونيابة الياء في جمع المذكر الســـالم والمثنى والأسماء الخمســـة عن الكسرة(18).

وعلى هذا تكون الحركة الإعرابية سيميائيا هي الأصل،وما ناب عنها بعد ذلك يعد فرعا عنها،فالواو عندما ينوب عن الضـــمة،والألف عندما ينوب عن الفتحة،والياء عندما تنوب عن الكســـرة،فإنما هي فروع نابت عن أصول،صحيح أن العلامة الإعرابية تدل على العموم،والحركة الإعرابية تدل على الخصوص،ولكن لما كان الأصل في العلامة الإعرابية أن تكون حركة فعُدَّتِ الحركة في تقديري حينئذ أصلا سيميائيا،وما نابت عنه يعد فرعا عنها.

فالحركة الإعرابية بهذه المثابة تمثل القلب النابض للنظام النحوي برمَّته،إذ لا نستطيع معرفةَ الموقع الإعرابي لأيٍّ من مكونات التركيب إلا بها،فالاســـم له أحوال إعرابية متعددة،والفعل له حالات إعرابية متعددة،وكذلك الحرف له حالات بنائية متعددة،كل ذلك مرجعه إلى الحركة الإعرابية.وأيا كان الخلاف في طبيعة هذه الحركات نشـــأة وتطورا وتشـكُّلا ومقصِـدا فإنها كلها تعد علامات سـيميائية لحركة السـياق التركيبي ،فلولاها لالتبسـت المعاني واضـطرب داخل هذا السـياق أو ذاك،لأجل ذلك كانت الحركة الإعرابية لها غرض سـيميائي يتجسـد في بيان معاني اللغة وما تشابه منها،وفي هذا الاتجاه يقول ابن جني في الإعراب : " هو الإبانة عن المعاني والألفاظ،ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرمَ سعيدٌ أباه،وشكرَ سعيدًا أبوه،علمتَ برفع أحدهما ونصب الآخر،الفاعل من المفعول،ولو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه."(19)،واستنادا لهذه المقصد السيميائي للحركة الإعرابية ،فإن هناك مقصدا آخر للحركة الإعرابية وهي تبيين غرض المتكلم وتوضيحه ، فإذا قال أحدهم : (ما أحسنْ زيدْ)غير معرب،فإنه لا

يوقف على مقصوده وغرضه،فإذا قال: (ما أحسنَ زيدا!) تكون (ما) تعجبية،وإذا قال (ما أحسنُ زيدٍ؟)،تكون (ما) استفهامية،وإذا قال(ما أحسنَ زيدٌ)تكون (ما) نافية(20)،لأجل ذلك كانت الحركة الإعرابية علامة سيميائية تدل على مقصود المتكلم،فهي بحد ذاتها دالة على المعنى،وليست هي المعنى بعينه.

هناك أمر آخر مهم في دراسة سيميائية الحركة الإعرابية يمكن استنتاجه من المقصدين الأولين، وهي قيامها بتحديد جملة الوظائف التركيبية في السياق،من فعل (وبخاصة الفعل المضارع ،والفعل الماضي في حالاته البنائية المتعددة:بناؤه على الفتح،وبناؤه على السكون،وبناؤه على الضم) وفاعل ومفعول،ومبتدأ وخبر ونحو ذلك،فالحركة الإعرابية تضطلع بهذه المهمة السيميائية في التمييز بين الوظائف التركيبية للعناصر المكوِّنة لهذا التركيب.

إذن هناك ثلاثةُ مقاصدَ سيميائية رئيسة من الحركة الإعرابية(21):

المقصد الأول:الحركة الإعرابية دالة على بيان معاني اللغة وما تشابه منها.

المقصد الثاني:الحركة الإعرابية دالة على بيان غرض المتكلم ومقصوده.

المقصد الثالث:الحركة الإعرابية دالة على تحديد الوظائف التركيبية.

= الإعراب وأثره في الدلالة السياقية للتركيب:

الإعراب هو الذي يكشف عن المعاني النحوية ويبينها ويوضحها؛لأن المعاني ينتابها الغموض وعند إعرابها تتجلى المعاني وتظهر،لأجل ذلك يرفع الإعراب اللبس الموجود بين المعاني النحوية ويقيها من الوقوع فيه.

وبما أن الحركات الإعرابية تختلف من سياق تركيبي إلى آخر وفقا لمقتضيات الدلالة،لأجل ذلك تتغير معاني الحركات الإعرابية وفقا لتغير الحركات الإعرابية التي في أواخرها،إذ إن كل حركة إعرابية محددة تنتج معنى دلاليا يختلف عن المعنى الآخر.

إن سيميائية الحركة الإعرابية لا شك أنها تؤثر في طبيعة المعنى الدلالي للسياق،فالضمة تعطي دلالة سيميائية تختلف عن الفتحة،والفتحة تنتج دلالة سيميائية تختلف عن الكسرة،وأعني هنا بالدلالة السيميائية العلاقة بين العلامة (الرمز أو الإشارة)والمعنى الذي يرمز إليه،وتتكون الدلالة السيميائية من ثلاث مكونات رئيسة وهي:

أ . العلامة: وهي الرمز أو الإشارة التي تستخدم للدلالة على المعنى.

ب . المعنى:وهو المفهوم أو الفكرة التي يرمز إليها المعنى.

ج . الصلة الدلالية:وهي العلاقة القائمة بين الرمز والمعنى،وتشير إلى الاتصال الدلالي بينهما.

وبناء على ذلك ففي عملية الإعراب يتم تحليل التركيب النحوي للجملة،وتحديد وظيفة كل عنصر من العناصر اللغوية في الجملة،مثل المبتدأ والبر والفاعل والمفعول به والحال والتمييز ونحو ذلكن وبتحديد وظيفة هذه العناصر من خلال الدلالة السياقية يتم فهم الدلالة السياقية للجملة بشكل أدق وأضح.

ويعتمد فهم الدلالة السياقية للتركيب على الصلة الدلالية بين عناصر التركيب،إذ يتم تحديد معنى العنصر اللغوي بناء على العناصر اللغوية الأخرى في الجملة.

وحينما نتحدث عن الإعراب من الناحية السيميائية فإننا نشير إلى أن الإعراب يعتمد على تحليل العناصر اللغوية كرموز تحمل معاني دلالية،ويتم في هذه الحالة تحليل الصلة الدلالية بين العناصر اللغوية،وتحديد الدلالة السياقية للجملة بصورة عامة،وبناء على ذلك فإن الإعراب والسيمياء يشابهان في تحليل الرموز والإشارات وتحديد الصلات الدلالية بينها،ويساعدان في فهم اللغة والتواصل اللغوي بصورة أفضل وأدق.

سيميائية الحركة الإعرابية:نطقًا ،وذوقا صوتيا جماليا:

إذا نُطق بالضمة فإن الشفتين تُضم،وإذا نُطق بالفتحة فإن الشفتين تنفتح،وإذا نُطق بالكسرة فإن الشفة السفلى تنكسر إلى الأسفل.

فضم الشفتين،وانفتاحهما،وانكسار إحداها تعد إشارت ترمز سيميائيا لهذه الحركات،فانضمام الشفتين علامة على إحداث الضمة،وانفتاحهما علامة على إحداث الفتحة،وانكسار أحَدِهما علامة على إحداث الكسرة.

فحركة الشفتين تؤدي وظيفة سيميائية تُحدَّد على إثرها نوع الحركة الإعرابية الصادرة صوتيا؛لأن الحركات في أصلها " عبارة عن أصوات تلحق الأصوات الصامتة فتحركها عن سكونها."(22)،وأن هذه الأصوات تقوم بأداء وظيفتين رئيستين هما : وظيفة صوتية ، و وظيفة نحوية(23)،ولا يبعد أن تكون هناك وظيفة أخرى تتجسد في وجود علاقتين بين الوظيفة الصوتية والوظيفة النحوية،فلا يبعد أن العرب استعملوا صوت الضمة للدلالة على التضام بين ركني الجملة :المسند والمسند إليه ،أو بين المبتدأ والخبر،أو الفعل وفاعله،فكلها كالشيء الواحد،متضامنان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر،وإذا ذكر أحدهما فلا بد أن يذكر الآخر.(24)،وكذلك الشيء نفسه في الفتحة والكسرة،قال الأستاذ أحمد الأخضر غزال : " حركة الفتح:أي التأثير على العالم الخارجي،وهو عمل صادر عن الإرادة،مثل ضَرَب وقَتَل وخَرَج ونَطَح وقَطَع وأَكَل ودَخَل وصَرَع ...،وكلها أفعال مفتوحة العين؛لأن الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بإرادة منه حقيقة أو مجازا. ثم حركة الكسرة ،أي التأثر الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجي،فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور،فالفعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون إرادة منه،حقيقة أو

مجازا،مثل:مَرِض وحَزِن وعَطِش وعَلِم وفَرِح وسَقِم وعَسِر وحَدِب وجَزِع ... ،ثم الضم والطم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة والدوام والثبات :كـــ(حَسُن وخَشُن وكَبُر وصَغُر وقَرُب وعَرُج وعَوُر ودَخُن وشَرُف وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لا حصولا طارئا أو مؤقتا كما هو في فَعِل،بل بكثرةٍ ودوامٍ وثباتٍ ونهاية."(25).

لكن لماذا تدل الفتحة على العمل الإرادي،والضـمة تدل على التراكم والتفاقم والسـكون والركود،والكسـرة تدل على الانكسار والخضوع.(26)

أجاب الأســـتاذ أحمد الأخضـــر غزال عن هذا الســـؤال الســـيميائي قائلا :" فلماذا الفتحة تدل على العمل الإرادي؟لأن فكي الفم عنـد إخراج صـــويتـة الفتحـة يبتعـدان الواحـد عن الآخر،ومـا الـذي يبعـدهمـا؟ثلاث عضلات:الأولى عضلة قوية جدا عريضة وغليظة،تسمى الماضغة،وعضلة ثانية تساعد الاولى،وهي الجناحية،وعضلة ثالثة،وهي الصدغية،تساعد الثانية.

إذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الأسفل حتى يتمكن الفم من العض والقطع للمأكولات،وهذه العملية عملية إقفال الفم هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته الأساسية ليعيش.

أما إبعاد الفك الســـفلي عن الفك العلوي فتقوم به ثلاث عضـــلات كذلك،إلا انها ضـــعيفة،وهي ذات البطنين،والضرسية الامية،والذقنية الامية،فعملية الإقفال إذن بفضل عضلاتها القوية أسهل وأيسر من عملية الفتح الضـعيفة العضـلات،فإخراج الفتحة أصـعب من إخراج الضـمة ،التي تقتضـي فتحا أقل من الذي للفتحة،وهي أصعب بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحا قليلا للفم،حتى إن صويتة الكسرة قد تخرج ويكاد الفكان يكونان منطبقين،الواحد على الآخر."(27)

فنحن إذن أمام توجيه صوتي دلالي ـــ سيميائي ـــ متفرد،وتفرده نابع من ربط الدلالة الصوتية للحركات وبخاصة ظاهرة الجمال الصـــوتي فيها بالدلالة النحوية،وربط الدلالة المجازية للحركات بالدلالة النحوية كذلك.وأيضـــا ربط الخفة والثقل في الحركات بدلالة الحركات نفسـها،فما كان ثقيلا منها ارتبط بدلالة الثقل،وماكان خفيفا منها ارتبط بدلالة الخفة.وكل ذلك يعد بحثا سيميائيا نفيسا في دراسة الحركات .

وإذا ما اتجهنا صـوب القدماء في توجيههم الخفة والثقل في الحركات ألفينا انه نابع أيضـا من عملية الجمال الصـوتي لهذه الحركات،فالفتحة عندهم هي أخف الحركات والكسـرة أثقلها،والضـمة تحتل مرتبة الوسـط،فهذا ينطلق من أساس أعماق الإنسان،فالكلام المفتوح يروق لما يوحي به من حركة ونشاط وحيوية،والكلام المكسور الذي يشير إلى الانهزام والخشوع،أما الكلام الذي يدل على التراكم والتفاقم والركود والسكون فهذا يشير لامحالة للضم.(28)

واستنادا لكل ماقيل نستطيع أن نقرر باطمئنان أن الحركات الإعرابية وبخاصة الفتحة والضمة والكسرة ليست حركات شكلية جيء بها بصورة اعتباطية،بل وضعت بعناية فائقة،من خلال مقاصدها الدلالية السيميائية العميقة،وربط طبيعة هذه الحركات بالجهد النطقي المبذول فيها،كل ذلك يُمكِّننا من بناء صرح نحوي متميز،

" يكشف لنا الستار عن النحو القديم الأصيل الذي بنى عليه العربُ القدماءُ لغتَهم،فأصبحت مطابقة لأغراضهم: عقلهم وشعورهم وأحاسيسهم ،أي بكلمة واحدة مطابقة للحياة."(29)

= سيميائية علامة الجزم:

إذا كانت الحركات الإعرابية الثلاث قد أخذت نصيبا وافيا من الحديث ،فجدير بنا أن نتطرق إلى علامة الجزم (السكون)؛لأنها لا تقل شأنا عن الحركات الإعرابية المتقدمة.

جاءت لفظة (جزم) في المعجم بمعنى (القطع)،وفي ذلك يقول الزمخشري : " جزمت ما بيني وبينه:قطعته،وجزم اليمين :قطعها البتة، .... وقلم جزم:مستوي القطر،لا حرف فيه."(30)،وجاء في القاموس المحيط : " جزمه يجزمه:قطعه،واليمين:أمضاها،والأمر قطعه قطعا لا عودة فيه،والحرف أسكنه وعليه : سكت،... والجزم في الخط:قطع عن تسوية الحروف والقلم لا حرف له،وهذا الخط المؤلف من حروف المعجم لأنه جزم،أي :قطع عن خط حمير..."(31)

أما في الاصطلاح النحوي فقد عرَّف النحويون الجزم بأنه " حذف حركة أو حرف من آخر الفعل بعامل الجزم."(32)،ويظهر بوضوح أن المفهوم الاصطلاحي للفظة الجزم قد استعير من المفهوم اللغوي،ففي كليهما جاءت اللفظة بمعنى (القطع)،مع الأخذ بنظر الاهتمام أن معنى(قطع الشيء)في المفهوم اللغوي قد تخصص في المفهوم الاصطلاحي بقطع الحركة أو الحرف من المجزوم،لذا انتقل معنى اللفظة من عموم قطع الشيء إلى خصوص قطع الحركة أو الحرف،وتحولت اللفظة بفعل هذا الانتقال إلى مصطلح نحوي،وعلاقة المشابهة بين المعنيين هو اقتطاع جزء ما(33).قال ابن منظور في هذا الاتجاه : " المبرد:إنما سمي الجزم في النحو جزما لأن الجزم في كلام العرب القطع،يقال:افعل ذلك جزما،فكأنه قطع الإعراب عن الحرف. "(34)وهذا ملحظ دقيق تلمَّس فيه ابنُ منظور علاقة المشابهة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للفظة الجزم.

من هنا يتبين لنا أن دلالة الجزم تتشكل سيميائيا كالتكشل الدلالي للفتحة والضمة والكسرة،فدلالة الجزم التي تدل على القطع والبتر والإزالة،وحسم الشيء وقطعه ،كلها دلالات تشير إلى التخلص من الشيء،وانتهائه،حقيقة أو مجازا،وهذا هو ما يحدث فعلا للعلامة الإعرابية في حالة الجزم،من حيث إزالة الحركة وحذفها أو عدم الحركة أصلا ،الذي يتجسد في علامة السكون.

واستنادا لما تقدم ذكره في سيميائية الحركات الإعرابية،فإننا نخلص إلى الآتي(35):

أ ـــ ليست الحركة الإعرابية مجرد حركات شكلية لا قيمة لها،إذ لو كانت كذلك لما استطعنا فهم وظائف التركيب ،ولا فهم المعاني اللغوية المتشابهة ،ولا بيان غرض المتكلم.

ب ـــ تؤدي الحركة الإعرابية وظيفتين رئيستين:وظيفة صوتية ووظيفة نحوية،وهناك وظيفة أخرى تتجسد في وجود علاقة متينة بين الوظيفة الصوتية والوظيفة النحوية.

ج ـ ترتبط الحركات الإعرابية ارتباطا دلاليا وثيقا بطبيعة الحركة الإعرابية من حيث الخفة والثقل،فما كان منها ثقيلا كانت المعاني التي تؤديها ثقيلة ،وماكان منها خفيفا كانت المعاني التي تؤديها خفيفة.

عصارة البحث:

أ ـــ العلامة النحوية سيميائيا ليست ضيقة المفهوم ضيقة النظرة،بل هي علامة سيميائية شاملة،تحوي كل مكونات النحو العربي بمختلف جزئياته وكلياته،وبهذا نستطيع القول إن النحو العربي برمته يمثل علامة سيميائية كبرى ضمن إطار مستويات اللغة في صورتها العامة.(36)

ب ـــ الحركة الإعرابية ليست مجرد حركة شكلية بل هي حركة يقوم عليها التركيب النحوي برمته،بكل ما فيه من تكوينات جزئية وكلية،فلا يستقيم النظام النحوي إلا بها.

ج ـ ترتبط الحركة الإعرابية ارتباطا وثيقا بطبيعة الموقع الإعرابيالذي تسطن فيه الكلمة المعربة،منسجمة مع دلالتها ومع ما تؤديه من مهمة وظيفية داخل سياق التركيب.

د ـــ النظرة السيميائية للنظام النحوي تجعل دارس النحو يتذوق النحو ونظامه ،ويشعر بسهولة ويسر في إاب السياق التركيبي،فدراسة الحرمة الإعرابية سيميائيا ييسر كثيرا تعليمية العملية الإعرابية.

توصيات:

أ ـ يوصي البحث المشتغلين بدراسة النحو الاهتمام والتركيز على المنهج السيميائي وتطبيقه على النظام النحوي.

ب ـــ يوصي البحث بالاهتمام بربط المنهج السيميائي (الحديث) بالتراث اللغوي(القديم)؛حتى يستطيع الدارسون إبراز مجهودات علمائنا القدامى في هذا الاتجاه.

هوامش البحث:

(1)النحو العربي:رؤية سيميائية:145 . 150.

(2)النحو العربي:رؤية سيميائية:155 . 157.

(3) سيمياء النحو:6.

(4)المصدر نفسه،وينظر:العلاماتية (السيمولوجيا):قراءة في العلامة اللغوية العربية:8.

(5) سيمياء النحو:8.

(6) سيمياء الأنساق:83،وينظر:الإعلان التجاري في الصحافة السعودية:دراسة سيميائية:44 . 45.

(7) سيمياء الأنساق:72.

(8) المصدر السابق:97.

(9) سيمياء النحو:40.

(10) ينظر:المكونات السيميائية والدلالية للمعنى:آليات إنتاج المعنى في الخطاب السردي:14.

(11) المصدر السابق:17 . 18.

(12) نظرية العامل في النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه:3.

(13) النظام السيميائي للنحو العربي :دراسة في كتاب سيبويه:9.

(14) سيمياء النحو:14.0.

(15) نظرة جديدة في ترتيب الحركات في العربية:7.

(16)لسان العرب:مادة:ح.ر.ك.

(17)المصدر نفسه.

(18) ينظر: النظام السيميائي للنحو العربي:153.

(19) ينظر:المصدر نفسه.

(20) الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية:271،وينظر:النحو العربي:رؤية سيميائية:155.

(21) المصدر نفسه.

(22) ينظر:النظام السيميائي للنحو العربي:159.

(23) المصدر نفسه.

(24) المصدر نفسه.

(25) فلسفة الحركات في اللغة العربية:70،وينظر:النحو العربي:رؤية سيميائية:144.

(26) ينظر:المصدر نفسه.

(27) ينظر:المصدر نفسه.

(28) المصدر نفسه.

(29)أساس البلاغة:مادة:ج.ز.م.

(30)القاموس المحيط:مادة:ج.ز.م.

(31)ينظر:أثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي:85.

(32) لسان العرب:مادة:ج.ز.م.

(34) ينظر:النحو العربي:رؤية سيميائية:146 . 148.

(35)ينظر:المصدر نفسه.

(36)ينظر: المصدر نفسه.

ثبت المصادر والمراجع

1 . أثر المجاز في تشكيل المصطلح النحوي(رسالة الحدود النحوية لابن الجبراني مثالا)،د/غادة غازي عبدالمجيد،مجلة الأستاذ،جامعة ديالى .كلية التربية للعلوم الإنسانية،العراق،المجلد الأول لسنة 2017م . 1438هـ ،العدد222.

2. أساس البلاغة،ابن عمر الزمخشري(ت538 هـ) ،بيروت:دار صادر ،ط1 ، 1992م.

3. الإعلان التجاري في الصحافة السعودية:دراسة سيميائية،د/إيمان محمد ربيع،الرياض:مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية،ط1 ،1436هـ . 2015م.

4. الحركة الإعرابية بين القيم الصوتية والقيم الدلالية،د/محمد سالم الرجوبي،مجلة الجامعة الأسمرية،العدد(20)، السنة (11).

5. سيمياء الأنساق،تشكلات المعنى في الخطابات التراثية،د/آمنة بلعلى،القاهرة:رؤية للنشر ةالتوزيع ،ط1، 2015م.

6. سيمياء النحو،أ.د/بهاء الدين عبدالوهاب عبدالرحمن ، – spot.com2014blog http:ann7u.blog post.html.

7. العلاماتية(السيميولوجيا)،قراءة في العلامة اللغوية العربية،د/منذرعياشي،كتاب الرياض ، العدد(161) ، الرياض:مؤسسة اليمامة ،ط1 ، 1430هـ . 2009م.

8. فلسفة الحركات في اللغة العربية،أحمد الاخضر غزال،مجلة اللسان العربي ،المجلد (10)،الجزء الأول،الرباط،المغرب،المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي.

9 . القاموس المحيط،الفيروز أبادي (ت 817هـ)،بيروت:دار المعرفة،ط2 ،2007م.

10. لسان العرب،ابن منظور الإفريقي(ت711هـ)بيروت :دار صادر،ط3 ،2004م.

11 المكونات السيميائية والدلالية للمعنى،آليات إنتاج المعنى في الخطاب السردي،د/الأطرش يوسف الملتقى الوطني الرابع : السيمياء والنص الأدبي .المركز الجامعي ،خنشلة.

12. النحو العربي:رؤية سيميائية،أ.دعبدالله محمد زين بن شهاب،بحث منشور في مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية المحكمة،في عدد خاص بالمؤتمر العلمي الرابع(دور العلوم الإنسانية في تحقيق التنمية المستدامة)،الجزء الأول،24 . 25 يوليو 2019م.

13. النظام السيميائي للنحو العربي،دراسة في كتاب سيبويه(رسالة ماجستير)،أحمد عبدالسلام صالح السوادحة،جامعة مؤتة . الأردن:كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ،2003م.

14. نظرة جديدة في ترتيب الحركات في العربية،د/عبدالله صالح بابعير،المكلا:دار حضرموت للدراسات والنشر،ط1 ، 2007م.